حديث عن العنصرية الإسرائيلية

21-2-2005

وإذا كان شارون زعيم الحزب هو رمز العنصرية في العصر الحديث، فإنه أعلن عن موافقته على إنشاء حزب فاشي يهودي جديد، كل أعضائه من المتطرفين الدينيين اليهود وعلى رأسهم الإرهابي اليهودي"باروخ مازل" المتورط في قضايا قتل أطفال ونساء عرب، وتزعمه تنظيما لتفجير المدارس العربية في فلسطين المحتلة. و"صموئيل سكوت" الذي تم الإفراج عنه بعد إدانته بقتل أطفال فلسطينيين وتم حبسه لعدة سنوات ليخرج بعدها كواحد من رؤساء حزب سياسي جديد!

بقلم محمد زيادة

يعتبر الحديث عن العنصرية الإسرائيلية أحد أصعب الموضوعات –من ناحية إحصائها- التي يمكن الحديث عنها، إذ لا يكاد يمر يوم إلا وترى عدة حوادث وقرارات عنصرية، ذلك أن هذا الكيان لم يترك إلى الآن عملاً عنصرياً إلا ومارسه وتفاخر به ضد العرب بصفة عامة والشعب الفلسطيني بصفة خاصة. كما أن هذا الكيان الذي أصبح الآن دولة مكتملة الأركان، يتمتع دون سواه بممارسة العنصرية على المستويين الداخلي والخارجي في آن واحد، مما يحقق له السبق في ذلك!

ورغبة منا في عدم إهمال جوانب عنصرية عديدة مارستها اسرائيل ضد الفلسطينيين في السنوات الأخيرة، انطلقنا في هذا المقال من نقطتين :

التركيز على أهم الأحداث العنصرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في السنوات الخمس الأخيرة من خلال أحداث واقعية تفرض نفسها في إظهار مدى التميز الذي يتمتع به الإسرائيليون في معاملاتهم اليومية مع غيرهم، وكذا عدم التطرق إلى العنصرية الداخلية داخل المجتمع الإسرائيلي وتركها لمقال آخر نستعرض خلاله اعترافات إسرائيليين وأجانب تعرضوا لكافة أنواع التميز داخل هذا الكيان.

الجدار العنصري الفاصل:

ما إن يتعرض أحدنا للعنصرية في التعامل اليومي بين الإسرائيليين والفلسطينيين إلا ويتبادر إلى الذهن على الفور "الجدار العنصري الفاصل"، وهو حديث المجتمع الدولي الآن، لكنه حديث بلا نتيجة، "فحكومة أريل شارون أعلنت صراحة أنها لن تتخلى عن الاستمرار في بناء الجدار حتى لو اعترض العالم كله على ذلك" كما جاء في صحيفة هتسوفيه العبرية التابعة لحزب المفدال الديني 27-2-2004م". وفي سبيل ذلك حول شارون مبلغ 300 مليون شيكل للاستمرار في البناء، "الدولار =4.5 شيكل". وإذا كان الفلسطينيون والعرب وبعض المؤيدين للقضية الفلسطينية من خارج العالم العربي ينددون يومياً بالعنصرية الإسرائيلية، فإننا لن نتوقف هنا عند هذه النداءات، بل سنقتبس من بعض الأحداث والاعترافات التي خرجت من أفواه إسرائيليين سواء كُتاب أو ضباط أو أكاديميين ما يكشف حقيقة هذا الكيان أمام العالم. عقب جرائم الحرب التي ارتكبها جنود شارون ضد الفلسطينيين فيما يعرف بعملية "السور الواقي"-مارس-مايو 2003م- لم يستطع بعض الإسرائيليين كتمان الحقيقة ومنهم الكاتب "أوحيو فيسكي"، كتب في صحيفة معاريف 19-3-2003م:"عمليات قتل الفلسطينيين التي قام بها الجيش الإسرائيلي على مدار الأيام السابقة هي حالة مفضوحة من التطرف والإرهاب، فقد قام الجيش بجميع وحداته بممارسة أعمال العنف والتطرف الوحشية فى حق المواطنين الفلسطينيين بحجة محاربة الإرهاب، و.الغريب أن الشعب الإسرائيلي صامت، لا يعارض هذه الممارسات المتطرفة من قبل الجيش، فهل يمكن اعتبار هذه المشاعر من قبل الإسرائيليين مشاعر بلادة ولا مبالاة، أم أنهم موافقون بالفعل على هذه الأعمال؟!".

قتل الأطفال:

وتعتبر عمليات قتل الأطفال الفلسطينيين من أبشع الجرائم التي يقوم بها جنود الاحتلال، ولا تتورع اسرائيل عن الاعتراف بذلك وتوعز الأمر إما إلى خطأ في التصويب من قبل جنودها أو الزعم بأن الأطفال القتلى يساعدون الفدائيين الفلسطينيين في تهريب المتفجرات كما حدث في 22-2-2004م، عندما زعم بيان لجيش الاحتلال على موقعه عبر الانترنت أن عملية قتل طفلين عند معبر رفح الحدودي كان متعمداً لأن الطفلين البالغين من العمر 12، 14عاماً ساعدا ما وصفه البيان "بالمخربين الفلسطينيين" في نقل المتفجرات من رفح إلى داخل قطاع غزة!

قتل القادة الدينيين:

لعل من أهم المطالب الإسرائيلية اليومية والموجودة على جدول أعمال الحكومة الإسرائيلية رصد القادة الدينيين سواء السياسيين أو العسكريين المؤيدين لاستمرار المقاومة الفلسطينية ضد إسرائيل، وعلى رأسه هذه القائمة يأتي الزعيم الروحي لحركة حماس ومؤسسها الشيخ أحمد ياسين، وتتجلى هذه العنصرية في الاستطلاع الذي أكد على أن 60% من الإسرائيليين يطالبون الحكومة بقتل الشيخ ياسين –استطلاع مركز"ديالوج" الإسرائيلي 22-8-2003م، وجدير بالذكر أن سلاح الجو الإسرائيلي حاول العام الماضي اغتيال الشيخ ياسين لكن المحاولة باءت بالفشل.

ولم يقتصر الأمر عند حد القادة الدينيين الفلسطينيين، بل إن صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية نشرت في بدايات 2003 موضوعاً

توصلت فيه حسب مزاعمها إلى أن العالم المصري الشيخ "يوسف القرضاوي" هو أحد المحرضين الرئيسيين لعمليات القتل ضد الإسرائيليين، وعرضت مطالب بعض ضباط المخابرات الإسرائيلية برصد الشيخ وقتله، ليكون درساً لكل من يحاول إتباع نفس النهج ضد الإسرائيليين!

تفجير المساجد:

تبرز العنصرية الإسرائيلية في أوضح صورها في الصراع الديني مع الإسلام بصفة خاصة، ولم يتورع اليهود على مر العصور من إعلان بغضهم للدين الحنيف، ولذلك لجأوا في أحايين كثيرة إلى ضرورة وقف تنامي المد الإسلامي ورأوا أن أول خطوة إلى ذلك تكمن في توجيه ضرباتهم للمساجد، لذا كانت المساجد الإسلامية ولا تزال هدفاً أولياً في العقيدة العنصرية الإسرائيلية والدليل ما كشفته صحيفة يديعوت أحرونوت العبرية في يونيه 2003 نقلاً عن بعض مسئولي المخابرات الداخلية الإسرائيلية بإعدادهم لوثيقة للنيل من قادة حماس والجهاد الإسلامي وهم بداخل المسجد، وأوضحت المصادر الإسرائيلية أن الهدف الحقيقي ليس اصطياد العناصر الفلسطينية بل تفجير أكبر قدر ممكن من المساجد في الأراضي الفلسطينية.

وأكدت الوثيقة العنصرية على ضرورة انتظار الصلاة وخاصة صلاة الجمعة لاصطياد رؤوس المقاومة الفلسطينية، وبالتأكيد فان أي عملية قصف لمسجد في أحد أيام الجمع سيؤدي لوقوع المئات من القتلى علاوة على تدمير المسجد. في هذا السياق أفادت منظمة "بيت سيلم" الإسرائيلية في تقريرها أن 5 آلاف مسجد تم هدمه على أيدي قوات شارون في السنوات الأربع الماضية فقط، وأن عدد المساجد التي دُمرت منذ عام 1967 إلى عام 2003 بلغ 500 مسجدا.

تدمير المنازل وتجريف الأراضي:

من مظاهر العنصرية المتفشية منذ وطأ اليهود أرض فلسطين عام 1948 عمليات تدمير المنازل وتجريف الأراضي، والتي أخذت منحى متصاعدا في السنوات الخمس الماضية، بل وضع شارون "مبدأ" جديدا وهو تدمير منزل أسرة كل من يقوم بعملية استشهادية ضد الفلسطينيين، وتصوير العملية تليفزيونياً ونقلها للعالم، ويعترف الكاتب الإسرائيلي "شلومو أفنيري" بان إقدام اسرائيل على هذا الأمر هو كبرى المصائب، مُشيراً إلى أنه يتم تحويل الأراضي الزراعية والسكنية المدمرة إلى ثكنات عسكرية قبيحة المنظر تابعة للجيش الإسرائيلي."

وفكرة هدم منازل الفلسطينيين واحدة من أهم المعتقدات التي يحملها العنصريون من المسؤولين الإسرائيليين، ودليل ذلك مطالبة وزير المواصلات وزعيم حزب الاتحاد القومي المتطرف "أفيجدور ليبرمان" للكنيست في يوليو الماضي بضرورة هدم 100ألف منزل عربي في أماكن متفرقة من الأراضي الفلسطينية بحجة أنها أراض إسرائيلية. وزعم أن هذه المنازل بُنيت بصورة غير قانونية، ويجب إعادة الوضع القانوني لها عن طريق استبدالها بمستوطنات يهودية!

لم تقتصر العنصرية الصهيونية على تجريف أراضي الفلسطينيين التي لم ينجحوا في الاستيلاء عليها، فكانت هناك أعمال عنصرية أخرى في بعض المناطق الفلسطينية حيث يقوم المستوطنون بالتمركز في إحدى النقاط القريبة من أرض فلسطينية يريدون الاستيلاء عليها، وينصبون بها أجهزتهم ومعداتهم بزعم قيامهم بتجارب علمية لفترة محدودة، ومن ثم يقومون بتجميع أنفسهم حتى يتسنى لهم الاعتداء على أصحاب الأرض الحقيقيين وبمساعدة جيش الاحتلال الإسرائيلي، وهو ما أكدته حركة "السلام الآن" الإسرائيلية في موقعها على الانترنت 7-4-2003.

"اقتلوا الفلسطينيين":

"اقتلوا الفلسطينيين" شعار بدأ يتردد بقوة في السنوات الماضية، من قبل المتطرفين اليهود، وينادى به بعض المسئولين الحكوميين ومنهم الوزيران "آفي ايتام" و"أفيجدور ليبرمان"، ولا يتورع جنود الاحتلال أو المستوطنون المتطرفون في قتل كل مواطن فلسطيني إن أمكن لهم ذلك، والدليل ما كشفه المحلل السياسي لصحيفة هاأرتس الليبرالية "جدعون ليفي" في 16-8-2003م، من أن المواطن العربي "باسل جرداتي" 48عاماً قاد سيارته عائداً إلى منزله داخل ما يعرف بالخط الأخضر، حيث أوقفه أحد جنود الجيش الإسرائيلي وما إن لمح الجندي ملامح جرداتي العربية حتى أفرغ رشاشه فيه وفي أسرته المكونة من زوجته وأطفاله الثلاثة. وحاول الجندي بمساعدة زملائه دفن الأسرة العربية في إحدى الحفر القريبة من الحاجز، إلا أن أمرهم انكشف عندما شاهدهم بعض المواطنين العرب من حملة الجنسية الإسرائيلية الذين قاموا بإبلاغ الشرطة التي هرعت إلى المكان. ويؤكد الكاتب على أن هذه الحادثة تعتبر مؤشراً على وجود العديد من هذه الجرائم تم ارتكابها من قبل جنود الجيش ضد الفلسطينيين ولم يسمع بها أحد، وحري بنا أن نُشير في هذا المقام إلى أن استجواباً قدمه عضو الكنيست"إسحاق هيرتزوج" يطالب فيه بالكشف عن ملابسات اختفاء العديد من المواطنين العرب الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية في ظروف غامضة منذ يناير 2003. ولعل هذه الفضائح دعت أستاذة المعمار الإسرائيلية في جامعة أوكسفورد البريطانية "روث ألموج" أن تعلن صراحة عن أسفها لأنها مواطنة إسرائيلية، وقالت إنها تشعر بالخجل عندما يتم سؤالها عن جنسيتها بسبب الجرائم والعنصرية التي يقوم بها مواطنوها ضد الفلسطينيين.

الشعار نفسه تم كتابته على بيانات ومنشورات حائطية تم إغراق مدينة القدس بها في منتصف العام الماضي، كما قام المتطرفون اليهود أصحاب المنشور بإرساله إلى الآلاف من الإسرائيليين في مدينة القدس المحتلة على وجه التحديد، مطالبين إياهم بإرسال البيانات التالية على الرقم البريدي المُذيل في المنشور. ونستعرض أهم ما جاء في هذا المنشور العنصري:

-كونوا دائماً منتبهين، وأخبرونا عن منازل عربية يمكن شراؤها، أو هدمها.

-أخبروناعن أصحاب البيوت العرب في الأحياء اليهودية في القدس.

-أخبرونا كيف يمكننا المحافظةعلى الغالبية اليهودية في قدسنا.

الليكود رمز العنصرية:

يمكن مساواة كلمة العنصرية بكلمة الليكود ونعني بها هنا ذلك الحزب الإسرائيلي الذي يتزعمه الآن أريل شارون والذي يحكم إسرائيل، فهذا الحزب لم يصدر عن أي من رجالاته ما يشير إلى رغبتهم في التوصل إلى حل سلمي، وإذا كان شارون زعيم الحزب هو رمز العنصرية في العصر الحديث، فإنه أعلن عن موافقته على إنشاء حزب فاشي يهودي جديد، كل أعضائه من المتطرفين الدينيين اليهود وعلى رأسهم الإرهابي اليهودي"باروخ مازل" المتورط في قضايا قتل أطفال ونساء عرب، وتزعمه تنظيما لتفجير المدارس العربية في فلسطين المحتلة. و"صموئيل سكوت" الذي تم الإفراج عنه بعد إدانته بقتل أطفال فلسطينيين وتم حبسه لعدة سنوات ليخرج بعدها كواحد من رؤساء حزب سياسي جديد!

ودليل تورط الليكود في محاولة تقوية العنصرية على مر الأيام ليست فقط في تأييد شارون لتكوين الحزب واعتباره حزباً سياسياً، بل كشفت التقارير الإعلامية العبرية عن أن الحزب يضم عدداً من أعضاء الليكود الحاليين الذين لن يحق لهم الترشيح مرة أخرى في الانتخابات القادمة، وتم إطلاق اسم "هذه أرضنا" على الحزب الجديد الذي يحمل شعار الأرض كلها "الفلسطينية" ملك للشعب اليهودي لا يجب التفريط في شبر منها. وفي الوقت الذي يَندد فيه العالم خاصة واشنطن والدول الغربية بالاتجاه الإسلامي المتنامي في المجتمعات الإسلامية والعربية، فإن الحزب الفاشي اليهودي الجديد يهدف أيضاً إلى تحكيم التوراة في الحياة اليومية لكل من يسكن فوق الأرض الفلسطينية بعد إفراغها من الفلسطينيين!

عنصرية ضد الأسرى:

إذا ما كتب أحدنا عن العنصرية الإسرائيلية ضد الأسرى بمختلف جنسياتهم وديانتهم المعتقلين في السجون الإسرائيلية فلن يكون إلا كقطرة في بحر، لكن تُشير في هذا السياق إلى بعض النماذج العنصرية التي مارسها الإسرائيليون ضد الأسرى الفلسطينيين، وتأتي ممارسة العنصرية في النشاط الديني على رأس أولويات المباديء العنصرية التي يمارسها الإسرائيليون، فقد عمدت هيئة السجون الإسرائيلية إلى إصدار قرار بمنع الأسرى الفلسطينيين من إقامة الصلاة في السجون، خاصة في معتقلي "كتسيعوت" و"هداريم" بحجة أن الصلاة يتم فيها تحريض الأسرى ضد السجانين الإسرائيليين وإدارة السجن.

وتشير التقارير المخابرية الإسرائيلية إلى أن صلاة الجمعة تمثل عبئاً ثقيلاً على السجانين الإسرائيليين، كما تمثل نفس العبء على الحراس الصهاينة خارج نطاق المعتقلات خاصة عند المسجد الأقصى لما تمثله الجمعة من اجتماع المسلمين والاستماع إلى موعظتهم والتي غالباً ما تركز على الاتحاد في وجه المحتلين وعدم الخضوع لهم أو الاستسلام. وفي تقرير لنادي الأسير الفلسطيني في منتصف مايو الماضي، أكد أن السجانين الإسرائيليين يقومون بحقن الأسرى الفلسطينيين بمواد كيماوية، واعترفت والدة الأسير الفلسطيني "زهير خيري إسكافي" - 28 عاماً - من مدينة الخليل أن ابنها أبلغها بأن المحققين الإسرائيليين حقنوه بمواد كيماوية أفقدته القدرة على الوقوف، ثم بدأ شعره يتساقط، وهزل جسمه.

محاربة النسل المسلم:

منذ ما يقرب من 10 سنوات عُقدت ورشة عمل في مدينة تل أبيب توصل خلالها المشاركون إلى أنه ينبغي التخلص من خطر الزيادة السكانية الفلسطينية، وفي سبتمبر 2001 خرجت توصيات ورشة عمل مماثلة في المدينة ذاتها -وبحضور أكاديميين وخبراء اجتماع يهود من مختلف دول العالم وبرعاية إحدى المؤسسات الألمانية المتخصصة في التنظيم السكاني- بتوصيات أهمها أنه بحلول عام 2025 ستكون نسبة التفوق السكاني العربي في الأراضي الفلسطينية المحتلة 22.4% مقارنة بنظيره اليهودي، وهو ما يعني تهديد جدي بفناء الوجود اليهودي كما أشار مسؤلو المخابرات الإسرائيلية الذين شاركوا في الورشة، ومنذ ذلك الحين وإسرائيل بمختلف قواها لا تتورع عن الإعلان عن رغبتها في وقف هذا التفوق السكاني، تارة بحجة الأزمة الاقتصادية التي تهدد جميع المواطنين الذين يعيشون تحت نطاق الدولة ومنهم العرب، وتارة تعلن صراحة عن مخاوفها الكبيرة من فناء الوجود اليهودي.

لذا لم يكن غريبا أن نقرأ يومياً في الصحف العبرية إعلانات صادرة من المنظمات النسائية الحكومية والخاصة في اسرائيل تطالب الأزواج بزيادة الإنجاب وعدم الخوف من الفقر، خاصة أن استطلاعاً للرأي تم نشره في مارس 2004 أكد أن 61% من الإسرائيليين لا يقدمون على الإنجاب بسبب الفقر.

إلى هذا الحد فليس في الأمر عنصرية، أما العنصرية فقد ظهرت في منشورات يهودية وزعها أعضاء لبعض الأحزاب الدينية المتطرفة مثل الاتحاد القومي، اسرائيل بيتنا، حركة كاخ الإرهابية طالبوا فيها اليهود بقتل كل امرأة فلسطينية خاصة الحوامل منهن! ولا يمكن أن نتجاهل التقارير العربية الصادرة عن المنظمات الصحية العربية التي تفيد بأن هناك تعمداً إسرائيلياً في محاولة إصابة أرحام الفلسطينيات بالعقم عن طريق رش مبيدات سامة على المحاصيل الفلسطينية.

كما يجب الإشارة إلى الوثيقة التي أعدها "هرتزل جداز" رئيس دائرة السكان التابعة لوزارة الأمن العام الإسرائيلية في 4-2-2003م لوقف التفوق السكاني الفلسطيني والتي اعتبرت الأطفال الفلسطينيين خطراً على الأمن القومي الإسرائيلي، ومن ثم فان الحكومة من حقها مقاومة هؤلاء الأطفال بكافة الطرق والوسائل المشروعة منها وغير المشروعة. وانتقلت الوثيقة العنصرية ذاتها إلى مطالبة الحكومة بإلغاء تطبيق التشريع الإسلامي الخاص بحق الرجل في الزواج من أربع نساء لان ذلك يؤدي إلى زيادة النسل الإسلامي لدى الفلسطينيين.

لا لحرية التعبير:

لعل من القرارات العنصرية الإسرائيلية التي تثير السخرية هو مشروع القانون الذي صدر في بداية الحرب الأمريكية على العراق والذي يقضي باعتقال كل مواطن عربي في الأراضي الفلسطينية المحتلة يقوم بالهتاف للرئيس العراقي السابق "صدام حسين"! وهو المشروع الذي قدمه أحد أعضاء الليكود المعروفين بتطرفهم ضد العرب والمسلمين وهو "دانيال بن لولو" حيث اتفق وقتها مع وزير الداخلية "تسحي هنجبي" على قيام الشرطة الإسرائيلية باعتقال كل من يقوم بالهتاف للرئيس العراقي السابق ومن ثم تقديمه لمحاكمة فورية، وطالب بن لولو بوقف الهتاف الفلسطيني الشهير لصدام حسين وهو "صدام يا حبيب اقصف تل أبيب".

*هذا غيض من فيض بشأن العنصرية الإسرائيلية ضد الفلسطينيين في السنوات الخمس الأخيرة فقط، وقد توقفت طويلاً عند سؤال مر بخاطري وهو ماذا يكفي من المقالات بل من الكتب لو أن أحدنا حاول رصد المواقف العنصرية الإسرائيلية منذ عام 1948 عندما وطأ اليهود أرض فلسطين العربية واحتلوها؟!

للعودة للأعلى